الفساد مظاهره ، أسبابه ، علاجه ، دراسة في ضوء القرآن الكريم

د. عائشة بنت محمد بن مستور الشمراني

أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، جامعة تبوك

المملكة العربية السعودية

ai.alshamrani@ut.edu.sa

تاريخ تسلم البحث: ٢٠/ ٦/ ٢٠٢٤م تاريخ قبول البحث: ١٥/ ٧/ ٢٠٢٤م

Doi: 10.59846/abhath.v11i3.651

الملخص:

تناولت الدراسة الحديث عن: الفساد مظاهره، أسبابه، علاجه، دراسة في ضوء القرآن الكريم وهدفت الدراسة إلى تحديد مفهوم الفساد كما يصوره آيات القرآن الكريم، وبيان أسبابه وصوره – ووضحت الدراسة أن البحث يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وذكرت المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته، والتمهيد حول التأصيل لمصطلح الفساد في ضوء القرآن الكريم، وبينت المبحث الأول: المبحث الأول: مظاهر الفساد كما صورتها آيات القرآن، والمبحث: الثاني أسباب الفساد كما تصوره آيات القرآن الكريم ، والمبحث الثالث: الأسلوب القرآني في علاج الفساد والنهي عنه، واستخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي، والمنهج الاستقرائي التحليلي، وذكرت جملة من النتائج من أهمها: أن انتشار الفساد في المجتمع نذير خطر ورسول قحط وعقوبة ربانية عامة، كما ذكرت أن للفساد أسباب عدة تؤدي إلى ظهوره في المجتمع وليس سببا واحدا وإن كانت كلها في الأصل تعود إلى ضعف الإيمان وقلة الصلة بالله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الفساد، مظاهره ، الأسباب، العلاج، القرآن الكريم، الخطر، العقوبة ربانية.

:

Corruption, its manifestations, its causes, its treatment - a Study in the Light of the Holy Quran

Dr. Aisha bint Muhammad bin Mastur Al-Shamrani
Assistant Professor, Department of Islamic Studies, College of Education and Arts, University of Tabuk
Saudi Arabia
ai.alshamrani@ut.edu.sa

Date of Receiving the Research: 20/6/2024 **Research Acceptance Date**: 15/7/2024

Doi: 10.59846/abhath.v11i3.651

Abstract:

The study dealt with: corruption, its manifestations, causes, and treatment, a study in the light of the Holy Qur'an. The study aimed to define the concept of corruption as depicted in the verses of the Holy Qur'an, and to explain its causes and forms. The study explained that the research consists of an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion. The introduction declared the importance of the topic and its selection reasons, previous studies, the research methodology and plan. The preface was about the rooting of the term corruption in the light of the Holy Qur'an. The first chapter displayed the manifestations of corruption as depicted in the verses of the Qur'an. The second chapter addressed the causes of corruption as depicted in the verses of the Holy Qur'an. The third chapter was about the Qur'anic method in treating corruption and forbidding it. The study used the deductive approach and the inductive analytical approach, and reported a number of results, the most important of which are: that the spread of corruption in society is a dangerous harbinger, a messenger of drought, and a general divine punishment. It also mentioned that corruption has several causes that lead to its appearance in society, and it is not a single cause, even if they are all in the origin spring from weak conviction and lack of connection with God Almighty.

Keywords: *corruption, its manifestations, causes, treatment, the Holy Quran, danger - divine punishment.*

مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وبعد:

فقد جاءت شريعة الإسلام بحاجات رئيسة، وحقوق أساسية ضمنتها لكل من الفرد والمجتمع، وشرعت لكل منهم حقوقا وجعلت عليه واجبات، بما يضمن لهم السعادة في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة.

كما جاء الإسلام مناديا بحفظ الضروريات الخمس التي لا تستقيم الحياة بدونها وهي: (الدين – العرض – النفس– المال – العقل)، كما أنه جعل أي تهديد لهذه الكليات، أو الضروريات مناف لشرع الله تبارك وتعالى.

وقد وصف المولى تبارك وتعالى التعدي، أو التهديد لأي من هذه الضرورات بالإفساد في الأرض، وسمى فاعله بالمفسد، والمتأمل في كتاب الله تعالى بعين البصيرة سيجد أن القرآن أولى اهتماما كبيرا بهذا الموضوع، إذ جاء الحديث عن موضوع الفساد في القرآن الكريم فيما يقارب خمسين آية، تنوعت بين نهي عن هذه الظاهرة، وبيان لأسبابها وعرض لنماذج من المفسدين خلال العصور، وانتهاء بفرض العقوبات الصارمة لمن أفسد في الأرض بأي شكل من أشكال الفساد، وهو ما سأبينه في ثنايا هذا البحث بمشيئة الله.

أولا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع والبحث فيه أنه يبين وبشكل تام أن الإسلام حارب الفساد منذ اليوم الأول لبعثة الرسول ﷺ ابتداء من التحذير من فساد العقيدة الناشئ عن عبادة غير الله، ومرورا بالحث على مكارم الأخلاق وانتهاء بوضع منهج حياة كامل شامل يقضي على الفساد بكل صوره وأشكاله.

٢- أصبح الفساد آفة العصر وهو ظاهرة انتشرت في أغلب المجتمعات إن لم يكن كلها ولذا رأيت أن أبرز اهتمام القرآن الكريم بهذا الموضوع حرصا منه على كل ما فيه صلاح البلاد والعباد.

٣- الرغبة في محاولة الوقوف على أسباب هذه الظاهرة كما تصورها آيات القرآن الكريم حيث إن الوقوف على أسباب أي ظاهرة عموما يفيد كثيرا في القضاء عليها.

٤- نشر التوعية بين أفراد المجتمع، وتحذيرهم من هذه الظاهرة، وبيان أنواعها وكيف جاء القرآن في أكثر من آية بالنهي الصريح عنها.

٥- محاولة إبراز رسالة الإسلام من خلال عرض ما تضمنته آيات القرآن الكريم من تأكيد على السلوك الحسن، ونهي عن الفساد وتربية سليمة للنفوس، وتكوين مجتمع قوي متمسك بكل مبادئ الحق والصلاح.

٦- التأكيد على أن الفساد سبب كل تخلف ورجعية أصابت الأمة، وتفشيه في المجتمع سبب للإطاحة بأحلام أبناء الأمة وشبابها، وسبب في القضاء على كل المبادئ التي جاء الإسلام بالدعوة إليها، لهذا كان لزاما أن يؤكد الباحثون في كل المجالات على محاربة الإسلام لهذه الظاهرة مع توضيح للآيات المتضمنة لذلك.

٧- الرغبة في تكوين ملكة علمية تساعد على استنباط المعاني من الآيات ذات الصلة وتقسيمها تقسيما موضوعيا، ودراستها دراسة واعية وعميقة.

ثانيا: أهداف البحث في الموضوع:

تحديد مفهوم الفساد كما تصوره آيات القرآن الكريم، والفرق بينه وبين الألفاظ ذات العلاقة

١. الوقوف على أسباب ومظاهر الفساد كما تصورها آيات القرآن الكريم.

٢. ذكر نماذج للمفسدين في الأرض كما عرضت لها آيات القرآن الكريم.

٣. توضيح شدة العقوبة المنزلة على المفسد للتأكيد على حرص الإسلام على تقويم وتهذيب النفس الإنسانية.

ثالثا: الدراسات السابقة:

فإنه بعد البحث والتقصي، حسب جهد الباحثة- والاطلاع على قوائم الرسائل الجامعية في كل من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، والاتصال بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، تبين للباحثة أنه ليس هناك دراسة لها علاقة مباشرة بالموضوع، ولكن هناك بعض الكتابات والتي تمكنت بجهدي القاصر من الوقوف عليها ومنها:

١- الفساد الاقتصادي أنواعه أسبابه. آثاره وعلاجه، المؤلف: د. عبد الله ابن حاسن الجابري .

٢- الفساد في ضوء القرآن الكريم، أسبابه، نتائجه، عواقبه، بحث منشور في مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية للباحث عبد الرقيب خالد عبدالله.

٣- الفساد والمفسدون، دراسة قرآنية موضوعية، رسالة ماجستير، إعداد الطالب ضيائي السوس، الجامعة الإسلامية -غزة-.

٤- الفساد ومكافحته من منظور إسلامي للدكتور عبدالحق حميش، مجلة دراسات وأبحاث ٢٠١٥ م .

والفرق بين هذه الدراسات وبين دراستي: أن هذه الدراسة تتحدث عن الفساد في من منظور عام لكن دراستي دراسة تفسيرية تتحدث عن(الفساد أسبابه -مظاهره - علاجه - دراسة في ضوء القرآن الكريم -).

رابعا: منهج البحث:

أسير بعون الله ﷻ وتوفيقه في هذه الدراسة معتمداً على المناهج العلمية التي تخدم البحث في كافة جوانبه، وهي المنهج الاستنباطي(١)، الذي يقوم على دراسة الواقع، ويهتم بوصفه وصفاً دقيقاً، واستنباط الآيات ذات الصلة بالموضوع، للوصول إلى حقيقة هذه الظاهرة، ومن ثم محاولة الوقاية منها، ومحاربتها على كل المستويات ثم المنهج الاستقرائي التحليلي(٢)، وقد استخدمته في تحليل النصوص الخاصة بموضوع الدراسة، وكذلك بعض المناهج العلمية الأخرى التي يقتضيها البحث.

---

(١) هو: الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصي جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة. المرشد في كتابة الأبحاث- حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله -(صـ٤٢).

(٢) يقوم هذا المنهج على تحليل ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة، والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها - أبجديات البحث في العلوم الشرعية- د. فريد الأنصاري- (صـ٩٦) بتصرف يسير، والاستقراء في اللغة تعني من قرأ الأمر أي تتبعه، ونظر في حاله، أو من قرأت الشيء: بمعنى جمعته وضممت بعضه إلى بعض، والمراد به هنا: تتبع الموضوع واستقرائه في مظانه وجمع المعلومات المتعلقة به - لسان العرب- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)-(١٥/ ١٧٥).

وأما **منهجي في البحث** فهو كالآتي:

أ – قمت بإذن الله بعزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآيات كما قمت بتخريج الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين فذلك دليلٌ كافٍ على صحته، وما لم يكن فيهما قمت بتخريجه مع ذكر الحكم عليه، مستعينًا بكلام الأئمة المحققين في ذلك.

ب – قمت بإذن الله بالرجوع إلى المصادرِ الأصيلةِ في التفسير وعلوم القرآن لجمعِ مادةِ البحث وتوثيقِه، من أجلِ تأصيلِ هذا الموضوع المهم، والرجوع به إلى مصادره الأصيلة.

ج – التزمت الأمانة العلمية حيث نسبت كل قول إلى قائله، ومصدره، وأذكر في الهامش اسم الكتاب، ومؤلفه، والمترجم والمحقق إن وجد، ورقم الجزء ثم رقم الصفحة، ثم دار النشر ورقم الطبعة، وتاريخها إن وجد ذلك وعند عدم وجودها أذكر كلمة "بدون". وإن كان النقل فيه تصرف أشير إلى ذلك، وإن كان هناك اختصارا قلت باختصار وهكذا.

د– استوفيت توثيق المرجع في فهرس المصادر والمراجع في نهاية، البحث، وعند ذكره في ثنايا البحث اكتفي بذكر: اسم الكتاب، والمؤلف، ورقم الصفحة والجزء.

هـ– ذيلتُ بحثي بالخاتمة، وأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها ثم فهرس المصادر والمراجع.

خامسا: هيكل البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث على النحو التالي،

المقدمة وضمنتها الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة وأهداف البحث ومنهجه وخطته.

التمهيد: ويشتمل على

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظ الفساد.

ثانيا: الفساد في السياق القرآني.

ثالثا: نماذج فاسدة ذكرت في القرآن الكريم.

المبحث الأول: مظاهر الفساد كما صورتها آيات القرآن وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: عدم التأدب مع الله تعالى.

المطلب الثاني: القتل وترويع الناس.

المطلب الثالث: قطع الأرحام.

المطلب الرابع: السحر.

المطلب الخامس: الانحراف الأخلاقي.

المبحث: الثاني أسباب الفساد كما تصوره آيات القرآن الكريم وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك بالله، واعتقاد تعدد الآلهة

المطلب الثاني: اتباع الهوى.

المطلب الثالث: فساد الملوك.

المطلب الرابع: ترك موالاة المؤمنين والبراءة من المشركين.

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في علاج الفساد والنهي عنه، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حرمان المفسد من محبة الله .

المطلب الثاني: النظر والاعتبار في عواقب المفسدين .

المطلب الثالث: تنفيذ العقوبة المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية والقوانين النافذة.

المطلب الرابع: إبراز المقارنات بين أحوال المؤمنين .

المطلب الخامس: النهي عن اتباع سبل وطرق المفسدين.

المطلب السادس: التوعية بما أعده الله من عقوبات أخروية للمفسدين .

ثم **الخاتمة**: وفيها أهم النتائج ثم فهرس المصادر والمراجع.

هذا والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وألا يجعل لأحد فيه حظ ولا نصيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد:

ويشتمل على:

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظ الفساد.

١. تعريف الفساد في اللغة:

الفساد لفظ مشتق من الفعل فسد و"الفاء والسين والدال كلمة واحدة، فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً وهو فاسد وفسيد"(٣).

و" الفَسادُ نقيضُ الصَّلاحِ فسَدَ يفسُدُ ويفْسِدُ وفسُدَ فَساداً وفسوداً فهو فاسِدٌ وفسِيدٌ فيهما وقومٌ فسدى، قال سيبويه: جمَعُوه جمعَ هلْكَى لتقربهما في المعنى هوَ واستفْسَدَ فلانٌ إلى فُلانٍ وتفاَسَد وتفاَسَد القومُ تدابروا وقَطَعُوا الأرحامَ"(٤)، وَقد اختَلَفت عباراتُهم فِي مَعنَاهُ، فَقيل: "فسد الشيءُ: بطلَ واضمَحَّل، ويكون بمعنَى تَغَير"(٥)

ثانيا: تعريف الفساد في الاصطلاح:

اختلفت أقوال العلماء في تحديد المراد بالفساد في الاصطلاح على النحو التالي:

- **الْفساد:** "هُوَ أَعم من الظُّلم، لِأَن الظُّلم النَّقْص فَإِن من سرق مَال الْغَيْر فقد نقص حق الْغَيْر وَعَلِيهِ: (من أشبه اباه فَمَا ظلم) : أَي فَمَا نقص حق الشَّبَه، وَالْفساد يَقع على ذَلِك، وعَلى الابتداع وَاللَّهْو واللعب، وَالْفَاسِد: مَأْخُوذ من (فسد اللَّحْم) إِذا أنتن وَيُمكن الِانْتِفَاع بِهِ(٦)
- **منهم من قال** إن الفساد: "بمعنى الجدب، ومنه قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ١٤]،

(٣) الكليات (ص: ٦٩٢) .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم – ابن سيده – ج٤ص٤٥٨.

(٥) تاج العروس – الزبيدي – ج٨ص٤٩٦.

(٦) تاج العروس – الزبيدي – ج٨ص٤٩٦.

قَالَ الزّجّاج: "معناه ظَهر الجَدْبُ في البر، والقَحْطُ في البحر، أي في مدن البحر التي على الأنهار"(٧).

- **قال البيضاوي**: " "والفساد: خروج الشيء عن الاعتدال"(٨)، وقال الطبري: "الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية"(٩).

عرفه الأستاذ وهبة الزحيلي تعريفا أراه جامعا مانعا فقال: " يراد به الفساد في الأرض، وهو إظهار معصية الله تعالى وانحراف عن هديه، تقترن بإلحاق ضرر بالآخرين في أنفسهم وأموالهم، وأحيانًا في أعراضهم وكراماتهم" (١٠).

ثانيا: الفساد في السياق القرآني.

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم سيلحظ ورود مادة (فسد) بصيغ متعددة في مواطن مختلفة، يهدف كل منها إلى إثبات حقيقة أرادت الآيات الكريمة الإشارة إليها. ولعلي هنا أستعرض ورود مادة فسد في القرآن الكريم ليتضح المراد بها، وقد جاء ورودها على أربع صيغ على النحو التالي(١١):

أولا: صيغة الفعل الماضي (فسد، أفسد): وقد جاءت أربع مرات في القرآن الكريم على النحو التالي:

١- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[سورة البقرة: ٢٥١].

٢- ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[سورة الأنبياء: ٢٢].

(٧) تهذيب اللغة – الأزهري – ج١٥ – ص١٣٤.

(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل – البيضاوي- ج١ص٤٦.

(٩) تفسير الطبري ج١ص٢٨٨.

(١٠) التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية- وهبة الزحيلي – ص٤

(١١) الفساد والمفسدون، بحث من إعداد: ضيائى نعمان السوسى ص٢٤ وما بعدها (بتصرف)

٣- ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٧١].

٤- ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [سورة النمل: ٣٤].

ثانيا: صيغة الفعل المضارع: وقد جاء لفظ (الفساد) في القرآن الكريم بصيغة الفعل المضارع أربع عشرة مرة على النحو التالي:

١-﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١].

٢- ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧]

٣- ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فيها مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

٤-﴿ تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥].

٥-﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة الاعراف: ٥٦].

٦-﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الاعراف: ٨٥].

٧-﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[سورة الاعراف: ١٢٧].

٨-﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٧٣].

٩-﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [سورة الرعد: ٢٧].

١٠-﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ [سورة النحل: ٨٨].

١٢-﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [سورة الاسراء: ٤]

١٣- ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾[سورةالنمل: ٤٨]

١٤-﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ سورة الشعراء الآيتان: (١٥١ -١٥٢).

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [سورة محمد: ٢٢].

ثالثا: صيغة اسم الفاعل:

ورد لفظ الفساد في القرآن الكريم بصيغة اسم الفاعل من الفعل الماضي الرباعي (أفسد فهو مفسد) في عشرين موضعا على النحو التالي:

١- ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٦٠]

٢- ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٢].

٣-﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٦٣]

٤-﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

٥-﴿فَٱذۡكُرُواْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٧٤].

٦- ﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٨٦].

٧- ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٣]

٨- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[سورة الأعراف: ١٤٢]

٩-﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُۚ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [سورة يونس: ٤٠].

١٠-﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[سورة يونس: ٨١].

١١-﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[سورة يونس: ٩١].

١٢-﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[سورة هود: ٨٥].

١٣-﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴾[سورة الكهف: ٩٤]

١٤-﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٨٣]

١٥-﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [سورة النمل: ١٤].

١٦-﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٤].

١٧- ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٧].

١٨-﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٦] .

١٩- ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٠].

٢٠-﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨].

رابعا: صيغة المصدر:

ورد المصدر من الفعل الثلاثي (فسد) بصيغة (فسادا) في السياق القرآني أحد عشر مرة على النحو التالي:

١- ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥].

٢- ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة: ٣٢].

٣- ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

٤- ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة المائدة: ٣٣].

٥- ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: ١١٦].

٦- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الانفال: ٧٣].

٧- ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٧].

٨- ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص: ٨٣]

٩- ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ٤١]

١٠-﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [سورة غافر: ٢٦].

١١-﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ [سورة الفجر: ١٢].

وبعد هذا العرض لورود مادة (فسد) في القرآن الكريم، فإن من الملاحظ ورود هذه المادة بصيغة الماضي والمضارع واسم الفاعل والمصدر فقط، ولم ترد بصيغة الأمر ولا المبالغة ولا المدح، وذلك أن القرآن إنما جاء حربا على الفساد وكل ما يؤدي إليه ولم يأمر به في أي حال من الأحوال.

ثالثا: نماذج فاسدة ذكرت في القرآن الكريم.

كثرت الإشارة في القرآن الكريم إلى مجموعة كبيرة من النماذج التي صنفها المولى ﷻ من أنواع الفساد، وفي هذا تحذير منه سبحانه للمؤمنين من اتباع هذه النماذج، أو السير في ركابها

وسأشير في هذا المطلب بإذن الله إلى مجموعة من هذه النماذج التي وصفها الله تعالى بالفساد فأقول وبالله التوفيق:

النموذج الأول: الطاغية فرعون، جعله المولى تبارك وتعالى نموذجا للفساد والمفسدين، محذرا من سلوك مسلكه أو السير في طريقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٤].

النموذج الثاني: قارون، جعله الله نموذجا لكل مفسد غرته دنياه وماله وسلطته، بأنه مهما عظم فالله أعظم، قال تعالى ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٦- ٧٧].

النموذج الثالث: اليهود، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

النموذج الرابع: قوم صالح، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧٤] **النموذج الخامس: قوم شعيب**، قال تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة هود: ٨٥] **النموذج السادس: قوم لوط**، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٩-٣٠].

النموذج السابع: المنافقون، قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١-١٢].

النموذج الثامن: المسرفون، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة الشعراء: ١٥٢: ١٥١].

النموذج التاسع: السحرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس: ٨١: ٨٠].

النموذج العاشر: السارق، قال تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [سورة يوسف: ٧٣].

كانت هذه بعضا من النماذج التي ذكرها المولى تبارك وتعالى للمفسدين في الأرض، نسأل الله بمنه وكرمه أن يحمينا من طرقهم.

المبحث الأول: مظاهر الفساد كما صورتها آيات القرآن

المطلب الأول: عدم التأدب مع الله تعالى.

إن الأدب مع الله تعالى "أعلى المراتب، والعاقل: من يكون خُلُقه وأدبه مع الله تعالى عاليًا وهو أصل كلّ أدب، بل لا يتصف أحد بأدَبٍ إن عُدِمَ الأدب مع الله، والأدب مع الله سبحانه هو حُسن الانقياد معه بإيقاع كل حركة على مُقتَضَى تعظيمه وإجلاله، والحياء منه، وهذا يشمل: القلب، واللسان، والأركان"(١٢).

إن مما افترضه الباري علينا ضرورة تعظيمه سبحانه وتبجيله، إلا أن هناك أصنافا من البشر لا يراعون مع الله أدبا، وقد وصفهم الحق تبارك وتعالى بالمفسدين، قال تبارك وتعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

(١٢) موسوعة الأخلاق - الخراز (ص: ٢٣٢).

وهنا قد أبانت الآية الكريمة "أن حال هؤلاء اليهود أنهم يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله وأنهم يسعون سعيا حثيثا للإفساد في الأرض عن طريق إثارة الفتن، وإيقاظ الأحقاد بين الناس. والله- تعالى- لا يحب المفسدين بل يبغضهم ويمقتهم، لإيثارهم الضلالة على الهدى، والشر على الخير.

وبهذا نرى الآية الكريمة قد ردت على اليهود في نسبتهم البخل إلى الله- تعالى- وبينت أنه- سبحانه- هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء وكشفت عن جوانب من رذائلهم وعنادهم وأوضحت أنه- سبحانه- يبغضهم؛ لأنهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون"(١٣).

ولك أن تتأمل كيف أدى فساد عقيدة هؤلاء اليهود إلى سوء أدبهم مع الله تعالى.

المطلب الثاني: القتل وترويع الناس

وهذه صفة لا تصدر إلا ممن استوطن الفساد نفسه، فأصبح يتصور أنه مالك العالم يسوم من يشاء منهم سوء العذاب، يذبح الأبناء، ويستحيي النساء، وقد ذكر لنا القرآن الكريم أنموذجا للنفس البشرية التي استوطنها الفساد فعاثت به بين البلاد والعباد.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٤] فلك أن تتأمل كيف حكم الله تعالى على فرعون بعد عرضه سبحانه لما كان منه أعمال جاوزت الحد في الطغيان، لقد حكم عليه بقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: " إن فرعون كان من الراسخين في الفساد والإفساد، ولذلك فعل ما فعل من ظلم لغيره، ومن تطاول جعله يقول للناس: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى."(١٤).

العلو في الأرض "كناية عن التجبر والاستكبار، ومحصل المعني أن فرعون علا في الأرض، وتفوق فيها ببسط السلطة على الناس، وإنفاذ القدرة فيهم، وجعل أهلها شيعا وفرقا مختلفة لا تجتمع كلمتهم على شيء، وبذلك ضعف عامة قوتهم على المقاومة دون قوته، والامتناع من نفوذ إرادته، وهو يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل، وهم أولاد يعقوب عليه السلام وقد قطنوا بمصر منذ أحضر يوسف عليه السلام أباه وإخوته فسكنوها وتناسلوا بها فالذي رفع لافتة الحق الإلهي فرق

(١٣) التفسير الوسيط، طنطاوي، ج٤ ص٢١٩

(١٤) التفسير الوسيط، طنطاوي، ج١٠ ص٣٧٦

الناس حتي لا يجتمعون على كلمة... وقومه الذين اختلفوا فيما بينهم بعد أن فرقهم فرعون شيعاً وفرقاً مختلفةً لم يجتمعوا على شيء إلا على فرعون"(١٥).

ليس هذا فحسب بل" وأغرى بينهم العداوة والبغضاء، كيلا يتفقوا على أمر، ولا يجمعوا على رأى، ويشتغل بعضهم بالكيد لبعض، وبذا يلين له قيادتهم، ولا يصعب عليه خضوعهم واستسلامهم، وتلك هي سياسة الدول الكبرى في العصر الحاضر، وذلك هو دستورها في حكمها لمستعمراتها، وقد نقش حكامها في صدورهم ذلك الدستور الذي ساروا عليه «فرّق تسد» وطالما أجدى عليهم في سياسة تلك البلاد، التي يعمّها الجهل ويطغى على أهلها حب الظهور، ويرضون بالنّفاية والقشور"(١٦).

ويترتب على هذا المنطق منطق تمزيق النسيج الاجتماعي قيما وفكرا الي تشبع نفسية الطاغية بالفرعونية، والشعور بالسيطرة التامة، والملكية الكاملة للوطن والمواطنين، ومن ثم فهو صاحب الحق المطلق في التصرف فيما يملك بدون مساءلة ولا مراجعة كما قال الله ﷻ على لسان فرعون ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٥١].

والأمة التي تقع في هذه المآسي لا تظفر بعهود طويلة من الحرية والأمان بل سرعان ما تقع فريسة غيرها؛ "لأن مناعتها الخاصة ذابت في أتون المظالم التي جاءتها من داخلها، أي من نفسها! فانقسام الأمة شيعا على هذا النحو يساوى في خطورته الصواعق التي تنقض من السماء، أو الزلازل التي تندك بها الأرض فهو مصدر لتقويض العمران وضياع العزة، وهوان الشأن، وقد قرن الله هذه الأخطار جميعا في سياق واحد، عند تأديب الناس وتهديدهم لو شردوا قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٥]" (١٧).

---

(١٥) الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن الكريم- سعيد أيوب، (صـ١٩٤، ١٩٥).

(١٦) تفسير المراغي - أحمد مصطفي المراغي- (٢٠/ ٣٢).

(١٧) الإسلام والاستبداد السياسي_ محمد الغزالي السقا-(صـ: ١٨٣، ١٨٤).

المطلب الثالث: قطع الأرحام:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة محمد: ٢٢].

ففي الآية الكريمة قرن الحق سبحانه وتعالى بين الإفساد في الأرض وبين قطع الأرحام وهذا التعبير.. «فَهلْ عَسَيتُمْ».. يفيد ما هو متوقع من حال المخاطبين. ويلوح لهم بالنذير والتحذير..

وكما جعل المولى قطع الأرحام من صور الإفساد في الأرض فقد رتب على ذلك أعظم العقوبات وأشدها ومنها: اللعن والطرد من رحمة الله تعالى كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [سورة محمد: ٢٢-٢٣].

"وهذا نهى عن الإفساد في الأرض عموماً وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال"(١٨).

ولذلك أصبح قطع الأرحام من الكبائر قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة. والصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجبة ومنها مستحبة.

وقطيعة الرحم من صفات المفسدين وصفات الفاسقين الذين قال الله عنهم في سورة البقرة: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧]

قال ابن أبي جمرة ـ رحمه الله ـ "صلة الرحم تكون بالمال وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه مع التحمل على ما يصاب منهم، من القطع والأذى وبالدعاء، والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إذا كانوا أهل استقامة،

(١٨) المسئولية في الإسلام (ص: ٦٧).

وإذا كانوا فجاراً فبذل الجهد في وعظهم ثم مقاطعتهم مع الإعلام أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق ولا يسقط صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب إلى أن يعودوا إلى الطريق المثلى"(١٩).

المطلب الرابع: السحر.

﴿السِّحرُ﴾: يطلق على ما لطف ودق، ويطلق على ما يقع بخداع وتخيلات لا حقيقة لها، مثل ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده، ويكون السحر أَيْضًا بمباشرة أَقوال وأَفعال حتى يتم للساحر ما يريد من التأثير على الشخص المقصود، بحيث يغير مزاجه ويؤثر في حواسه ووجدانه، كأن يجد الحلو مُرًّا، وينقبض صدره وتضعف قواه، ويكثر اضطرابه(٢٠).

يقول الحق تبارك وتعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [سورة يونس: ٨١].

أي فلما أَلقوا ما لديهم من العصى والحبال وأظهروا كل ما في طاقتهم من فنون السحر استرهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم. ولثقة موسى – عليه السلام– بصدق رسالته، وإيمانه بنصر الله له، وتثبيت الله لقلبه، وتكذيبا لما رموه من السحر قال لهم: الذي جئتم به وبذلتم في إِظهاره أَقصى جهدكم هو السحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى وتأْكيدا لثقته بتحقيق ما تقدم قال فيما حكاه القرآن عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾: أَي إن الله سيمحق هذا السحر فلا يبقى له من أثر بما يظهره على يدى من المعجزات، فإن الباطل لا يدوم مهما كثر وانتشر.

ثم أكد القرآن الكريم ذهاب هذا السحر وزواله بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يصْلِحُ عَملَ الْمُفسِدِينَ﴾: أي إن الله لا يجعل عمل جميع المفسدين صالحًا للبقاءِ ثابتًا، بل يزيله ويذهب به، فلا يبقى لباطل هؤلاء السحرة المفسدين أثرًا. (٢١).

ومن وسائل تفتيت المجتمع "نشر الخرافات والتصورات الفاسدة، وحقن الجماهير بها بطرق مختلفة، كالسحر والكهانة والشعوذة، باعتبارها أدوات تجهيل للمجتمع؛ حيث غُطِّيَت

(١٩) كلمات في الدعوة والمنهاج (٢/ ٦٧)

(٢٠) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية، ج٤ ص١٢٦

(٢١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية، ج٤ ص١٢٨

تلك الأدوات بأردية مقدسة، وقد أولى فرعون هذه الوسيلة اهتماما كبيرا، لأنّ السحر والكهانة جزء من النّظام القائم على تقديس فرعون، وإعطائه صفة الألوهية والربوبية. فهم-أي السحرة والكهنة-يسحقون وعي النّاس سحقاً وحشياً، حتى أضحت الجماهير مقيدة العقول! مأسورة في طوق من الخرافات والأوهام والأباطيل، وتلك هي البيئة التي تنمو فيها شخصية فرعون، وكما كان السحر والكهانة سبب في ظهور شخصية فرعون، فهما أيضا وسيلته المفضلة في تثبيت حكمه ونظامه، ودلّ على ذلك حشده لهم في مباراة مصيرية مع سيدنا موسى عليه السلام. يقول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ (٢٢)، (٢٣)، فإنشغال الجماهير "وسيلة لإبعادها عن إدراك واقعها المر، فتعيش حياتها لاهية غافلة لا هدف، ولا قضية ولا غاية، فهي في لهو باطل لا خير فيه، حتى إذا جاءهم الحق استقبلوه بالهزء والسخرية"(٢٤)، وذلك" لتناهي غفلتهم، وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب"(٢٥) قلوبهم لاهية غافلة، يقول الله جل جلاله ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٣].

المطلب الخامس: الانحراف الأخلاقي.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٨-٢٩].

قال ابن كثير-رحمه الله-: "بعث الله لوطًا عليه السلام إلى أهل سدوم، وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله عز وجل ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والفواحش التي

(٢٢) سورة الأعراف الآيتان: (١١٤، ١١٣).

(٢٣) شخصية فرعون في القرآن – (صـ: ١٤٣).

(٢٤) المرجع السابق نفسه – (صـ: ١٤٤).

(٢٥) تفسير البيضاوي – (٤/ ٤٥).

اخترعوها؛ فلم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور دون الإناث، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم –عليهم لعائن الله–"(٢٦)، وقد وصف الله تعالى تلك الفعلة القبيحة بثلاثة أوصاف:

الأولى: الفاحشة.: قال الله ﷻ:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٠]، وقال الله ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [سورة النمل: ٥٤]،وقال ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٨]. فهي من أكبر الفواحش، وأفحش الكبائر.

والفاحشة هنا: "إتيان ذكران الآدميين في أدبارهم، ولما كان هذا الفعل معهوداً قبحُهُ، ومركوزاً في العقول فُحشُه أتى به معرّفاً بالألف واللام على سبيل المبالغة، كأنه لشدة قبحه جُعل جميع الفواحش"(٢٧).

الثانية: الخبائث: قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٤].

والخبائث: "جمع خبيثة، وهي ما يكره رداءةً وخساسةً، يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح في الأفعال"(٢٨)، فهل هناك أخبث من إتيان الرجل للرجل!!

الثالثة: عمل السيئات:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [سورة هود: ٧٨]، "فقد عبَّر القرآن عن هذا المنكر الذي يفعلونه بالوصف المناسب له، دون أن يذكر اسمه؛ تقززًا له، وصيانة للأفواه أن تتلفظ به، وللأسماع أن يقع عليها، وقد جاء بصيغة الجمع؛ للدلالة على

(٢٦) تفسير القرآن العظيم – (٣/ ٤٤٥)– مرجع سابق.

(٢٧) البحر المحيط – (٥/ ٩٩) – مرجع سابق – بتصرف يسير.

(٢٨) روح البيان – (٥/ ٥٠٢).

أنه منكر غليظ مركب، وأنه ليس سيئة واحدة، بل هو سيئات، وليس منكرًا، بل هو منكرات"(٢٩). "فقد صارت لهم دأبًا لا يسعون إلا لأجله"(٣٠).

في هذه الآية "عرض لسيرة هؤلاء القوم، وفضح لمخازيهم، وأن هذا الذي جاءوا إليه ليس ابن يومه، وإنما هو داء تعاطاه القوم من قبل، فكان طبيعة غلبت عليهم، حتى لقد صار عادة مألوفة عندهم، وأمرا مستقرا فيهم، ليس فيه ما يثير أي إحساس عندهم بالخزي، أو الاستحياء"(٣١).

فانظر معي في الآية الكريمة كيف يخاطب سيدنا لوط عليه السلام قومه مستنكرا ما هم عليه من انحراف للفطرة السوية بإتيانهم الرجال دون ما أحل الله لهم من النساء، ثم ما ختم به هذا الخطاب من دعائه عليهم ووصفهم بالمفسدين؛ "لِأَنَّهُمْ يفْسِدُونَ أَنْفُسهُمْ بِشنَاعَاتِ أعمَالِهِمْ ويُفْسِدُونَ النَّاسَ بِحملِهِمْ عَلَى الفوَاحشِ وَتَدْرِيبِهِمْ بِهَا، وَفِي هَذَا الْوصْفِ تَمْهِيدٌ لِلْإِجَابَةِ بِالنَّصْرِ؛ لِأَنَّ اللهَّ لَا يحب المفسدين. "(٣٢)

وقد "كان قوم لوط، أفحش الأقوام العربية فجورا، وانحرافا وإسرافا، فكانوا مع إشراكهم قد انحرفوا عن الفطرة وشذوا عنها؛ ولذا كان أول ما واجههم به نبي الله لوط أن ذكر لهم تلك الجريمة البشعة التي شذوا بها عن الفطرة، والإنسانية، والأخلاق العربية"(٣٣)

فهذه واحدة من أحد المظاهر التي رسمها المولى عز وجل في كتابه للفساد، ذلك الفساد الذي يسيطر على النفس البشرية فيجعلها تعيش حياة بهيمية لا تميز فيها بين الشر والخير وبين الصلاح من الفساد.

---

(٢٩) ينظر: التفسير القرآني للقرآن؛ عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)- (٦/ ١١٧٨) - بتصرف يسير.

(٣٠) التحرير والتنوير- (١٢/ ١٢٦)- مرجع سابق.

(٣١) التفسير القرآني للقرآن - (٦/ ١١٧٨)- مرجع سابق.

(٣٢) التحرير والتنوير، ج٢٠ ص٢٤١.

(٣٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج٦ص٢٨٩٢

المبحث: الثاني أسباب الفساد كما تصوره آيات القرآن الكريم وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك بالله ، واعتقاد تعدد الآلهة

لقد خلق الله الخلق جميعا لتوحيده والإيمان به والكفر بمن سواه، ثمعبادته وحده لا شريك له وهذا هو الأصل الذي خلق الله الخلق لأجله يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦] وأي مخالفة لهذه القاعدة هو من باب الإفساد الذي نهى المولى عنه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢] " أي لو كان في السموات والأرض إله غير الله لخربتا وهلك من فيهما- ذاك أنه لو كان فيهما إلهان فإما أن يختلفا أو يتفقا في التصرف في الكون، والأول ظاهر البطلان؛ لأنه إما أن ينفذ مرادهما معا فيريد أحدهما الإيجاد والثاني لا يريده فيثبت الوجود والعدم لشيء اختلفا فيه، وأما أن ينفذ مراد أحدهما دون الثاني، فيكون هذا مغلول اليد عاجزا، والإله لا يكون كذلك، والثاني باطل أيضا؛ لأنهما إذا أوجداه معا وجب توارد الخلق من خالقين على مخلوق واحد. "(٣٤).

وقوله: ﴿لَفَسَدَتَا﴾، "هذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجدا، ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة، بل لا يكون الإله إلا واحدا، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله ﷻ، وأن فساد السماوات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غير. فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه كله، فإن قيامه إنما هو بالعدل، وبه قامت السماوات والأرض، وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد"(٣٥).

فَكَمَا اقْتَضَت الحكمة الإلهية الَّتِي هِيَ "فِي الربوبية الْمُطلقَة التَّوْحِيد والوحدانية بقطعية تَامَّة وأظهرت مُقْتَضى شَدِيدا وداعيا قَوِيا لَهَا كَذَلِك الْكَمَال الرائع الْمُشَاهد للكون ابْتِدَاء من النُّجُوم والنباتات والحيوانات وَالْأَرْض والمعادن وانتهاء بالجزئيات والأفراد والذرات يَقْتَضِي التَّوْحِيد والوحدانية بالقطعية نَفسهَا فَهَذَا الْكَمَال فِي النظام المتقن وَهَذَا الانسجام البديع لَهُ شَاهد عدل

(٣٤) تفسير المراغى، ج١٧ ص١٩

(٣٥) شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية (ص: ٣٩)

وبرهان باهر على تِلْكَ الوحدانية والفردية فَلَا يسمح قطّ لريبة أَو لشُبْهَة ذَلِك لِأَنَّهُ لَو كَانَ هُنَاكَ أَي تدخل مِمَّا سوى الْوَاحِد الْأَحَد لفسد هَذَا النظام البديع الرصين واختل هَذَا التوازن الْمُحكم الْمُشَاهد فِي جَمِيع أَجزَاء الْكَوْن فَصدق الله الْعَظِيم الَّذِي قَالَ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾"(٣٦).

فالواجب على كل مسلم اعتقاده هو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، إذ إن اعتقاد وجود الشريك مع الله تعالى يترتب عليه فساد عظيم، وهو أمر مشاهد ومحسوس في واقع الحياة، إذ لو تسلم زمام الأمر شريكان لهما نفس السلطة لتنازعا الرأي فيه وبطل من أساسه، لهذا كان لزاماً توحيد الله وإفراده بالعبادة.

المطلب الثاني: اتباع الهوى.

الهَوى: ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنّفس المائلة إلى الشّهوة، وقيل: سمّي بذلك؛ لأنّه يَهْوى بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية، وفي الآخرة إلى الهَاوية، والهُوِيُّ: سقوط من علو إلى سفل، وقوله ﷻ: فأُمُّهُ هاويَةٌ"(٣٧).

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٧١] أي " لوْ عملَ الربُّ تعَالَى ذِكرهُ بما يهوى هؤُلَاءِ الْمُشركُونَ، وأَجرَى التَّدْبِيرَ عَلَى مَشِيئَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، وَتَرَكَ الْحَقَّ الَّذي هُمْ لَهُ كَارِهُونَ، لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ، وَالصَّحِيحَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْفَاسِدَ. فَلَوْ كَانَتِ الْأُمُورُ جَارِيَةً عَلَى مَشِيئَتِهِمْ وأَهوائِهِمْ مَعَ إيثَارِ أَكْثرِهِمُ البَاطلَ عَلَى الْحَقِّ، لَمْ تَقِرَّ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنْ خَلْقِ اللهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَامَ بِالْحَقِّ"(٣٨).

(٣٦) حقيقة التوحيد (ص: ١٢٢).

(٣٧) المفردات في غريب القرآن، الأصفهانى، ص٨٤٩

(٣٨) تفسير الطبرى، ج١٧ ص٨٨.

وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ٤٣ – ٤٤]، ولقد عالج النبي ﷺ هذه القضية، وبين ما ينبغي على المسلم أن يلتزم به، وذلك بأن يعتزل كل مظاهر التعصب، ويتجنب أسبابه؛ فقال النبي: ﷺ(إذا رأيتَ شُحّاً مطاعاً وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام؛ فإن من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم)(٣٩).

فالمتتبع لهواه لا يقبل إلا تفكيره، ويتمسك به، ولو كان خاطئاً، وبالتالي لا يبدع؛ لذا يجب على العلماء العاملين، والدعاة المخلصين، والمثقفين المبدعين؛ نشر ثقافة قبول الآخر، وعدم التعصب للرأي، واللين والرفق، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا سَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يُجْزِئُ بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ)(٤٠).

(٣٩) أخرجه أبو داود في سننه ـــ كتاب: الملاحم ـــ باب: الأمر والنهي ـــ (٦/ ٣٩٦) حديث (٤٣٤١)، والترمذي في سننه: كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله، باب: ومن سورة المائدة، وقال: "هذا حديث حسن غريب".

(٤٠) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣/ ١٣١) حديث (٢٥٩٩٠)، وإسناده صحيح ورجاله ثقات، كما قال محققو المسند. والترمذي في سننه (٤/ ٣٦٩) ـــ حديث (٢٠١٦) ـــ وقال: حديث حسن صحيح.

المطلب الثالث: فساد الملوك.

المِلكُ: هو المتصرّف بالأمر والنّهي في الجمهور، وذلك يختصّ بسياسة الناطقين، ولهذا يقال: مَلِكُ الناسِ، ولا يقال: مَلِك الأشياءِ(٤١).

والملك هو من يقود الشعب، وله أثر كبير في صلاح شعبه أو فساده، لهذا وجب اختيار الناصح الأمين لأمته، وقد بين الحق تعالى هذا الأثر الكبير للملوك بقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة النمل: ٣٤].

والمراد أن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وقهرا على أهلها "خرّبوا مبانيها، وغيروا معانيها، وأتلفوا أَمْوَالها، وفرقوا شَمْلَ أَهْلِها وَجَعَلُوا أعزة أَهْلِها أذلةً أَيْ: أَهَانُوا أشرافها، وَحَطُّوا مَرَاتِبهُمْ، فَصَارُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَذِلة وَإِنما يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؛ لأجل أن يتم لهم الملك، وتستحكم لهم الوطأة وتقرر لهم في قلوبهم المهابة. "(٤٢).

ومن المعلوم أن الإنسان إذا تجرد من التقوى والإيمان، ورأى نفسه في غنى عن الناس؛ فإنه يتجاوز الحد في الطغيان، والظلم والبغي والاضطهاد؛ يغلبه هواه ويقوده طمعه ويسوقه شيطانه يرى في نفسه أنه غير محتاج للذي خلقه ورزقه؛ لاستغنائه بالمال، والمنصب والجاه والسلطان، ومن ثَّم فليس غريباً عليه أن يقتل وأن يذبح، وأن يستحي وأن يفجر وأن يدمر ويخرب ويشرد، بسبب فساده قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [سورة العلق: ٦ ٧]، ولذلك لما سئل الإمام أبو حنيفة- رحمه الله – عن الغنى والفقر قال: "وهل طغى من طغى من خلق الله ﷻ الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة"(٤٣)، وقال الحسن البصري- رحمه الله – "والله ما بسطت الدنيا لعبد إلا طغى كائنا من كان"(٤٤).

وكان بعض الملوك يمارسون أشد أنواع العذاب والاضطهاد بكل مظاهره من أجل بقاء ملكهم، فهذا النمرود بن كنعان طغى وتجبر، وحاجَّ إبراهيم ﷺ فقام باضطهاده وسجنه

---

(٤١) المفردات في غريب القرآن، ص٧٧٤

(٤٢) فتح التقدير، الشوكاني، ج٤ ص١٥٩

(٤٣) المستطرف في كل فن مستظرف ـ شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي – (٢/ ١٠٦) ـ

(٤٤) تفسير التستري- أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)- (صـ ٢٠٠).

وتعذبيهم بكل حماقة وجهالة وكبرياء؛ من أجل بقاء ملكه قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

إن الذي حمل هذا الأحمق عَلَى هَذِهِ الْمُحَاجَّةِ" هُوَ إِيتَاءُ الله – تَعَالَى – الْمُلْكَ لَهُ، فَكَانَ مَنْشَأَ إِسْرَافِهِ فِي غُرُورِهِ وَسَبَبَ كِبْرِيَائِهِ وَإِعْجَابِهِ بِقُدْرَتِهِ"(٤٥)، وحبه للتملك والتفرد والعلو فكان نتيجة ذلك الطغيان ومن ثمَّ الاضطهاد بكل صوره.

وهذا فرعون كان حريصاً كل الحرص على حب التملك والتفرد والعلو؛ فتشدق في الجماهير كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [سورة القصص: ٣٨] حيث كان حب التملك والتفرد والغلو متغلغل في أعماق فرعون ومسيطر على هواه الأمر الذي حمله على شن حملة شعواء من الاضطهاد والتعذيب، والقتل والفتك من أجل حب التملك.

المطلب الرابع: ترك موالاة المؤمنين والبراءة من المشركين:

وَ (الْمُوَالَاةُ) ضِدُّ الْمُعَادَاةِ، وَ (الْوِلَايَةُ) بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ النُّصْرَةُ "(٤٦) و"أصل البراءة البغض وأصل الولاية الحب وهذا؛ لأن حقيقة التوحيد أن لا يحب إلا الله ويحب ما يحبه الله فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥](٤٧).

(٤٥) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ـ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) – (٣/ ٣٩).

(٤٦) مختار الصحاح، الرزى، ٣٤٥

(٤٧) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٠ ص٤٦٥

فينبغي لكل مؤمن أن يعلم أن أولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم، وكذلك فإن أعداء الله تحرم موالاتهم وتجب معاداتهم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [سورة الأنفال: ٧٣].

ومعنى الآية أن "الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ أي فلا يتولاهم إلا من كان منهم، ففيه إشارة إلى نهي المسلمين عن موالاتهم، وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم، وإن كانوا أقرب، وقد استدل به على أنه لا توارث بين المسلمين والكفار، وقوله تعالى: إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التواصل، وتولّي بعضكم بعضا، ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار، تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة؛ لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدةً على الشرك، كان الشرك ظاهرا، والفساد زائدا في الاعتقادات والأعمال"(٤٨).

ومن هنا نعلم يقينا أن الله تعالى قرر في كتابه الكريم، أن عدم موالاة المؤمنين والبراءة من المشركين هو من أعظم أسباب الفساد في الأرض، وهل بعد قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ إنذار أكبر وقعا في النفوس" أَيْ إِنْ لَمْ تُجَانِبُوا الْمُشْرِكِينَ وَتُوَالُوا الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَّا وَقَعَتْ فِتْنَة فِي النَّاس وَهُوَ الْتِبَاس الْأَمْر وَاخْتِلَاف الْمُؤْمِنِينَ"(٤٩).

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في علاج الفساد والنهي عنه

المطلب الأول: حرمان المفسد من محبة الله .

جاء الأسلوب القرآني في علاج الفساد والنهي عنه متنوعا بين فرض عقوبات دنيوية وأخروية على المفسد، وتوضيح عاقبة المفسد ونفي محبة الله تعالى للفساد بكل صوره وأنواعه في صورة توضح لنا بجلاء رفض الإسلام الكامل للفساد بكل صوره وأشكاله، ولعلي في هذا المبحث أتناول ما فتح الله من صور رأيتها من أساليب القرآن في محاولة تنفير المسلم من سلوك هذا المسلك أيا كانت دواعيه وأسبابه.

عرضنا كثير من الآيات التي تحدثت عن الفساد والمفسدين في نهايتها بالتأكيد على عدم محبة الله للمفسد فقال تعالى في أكثر من موضع: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [سورة المائدة٦٤

(٤٨) محاسن التأويل، القاسمي، ج٥ ص٣٣٥.

(٤٩) تفسير ابن كثير – (٧/ ١٣١).

وسورة القصص٦٧] أَيْ" مِنْ سَجِيَّتِهِمْ أَنَّهُمْ دائماً يَسْعَوْنَ فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ"(٥٠)، "وَذلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّاعِيَ فِي الأرضِ بِالفَسادِ ممقوت عند اللهَّ تعالى"(٥١)

ففي هذه الآيات يؤكد المولى ﷻ لنا مقته وعدم حبه للفساد وأهله، فالله لا يحب المفسدين " في الأرض بل يبغضهم ويعاقبهم، ومن ثم لا ينجح سعيهم ولا يصلح عملهم لأنهم يريدون أن يبطلوا حكمته تعالى في صلاح الناس وعمران البلاد. "(٥٢)، ومن نفى الله محبته له، فهو ولا محالة هالك في الدنيا قبل الآخرة نسأل الله أن يجيرنا من ذلك بمنه وكرمه.

ولذلك فإن التصدِّي للفساد والمفسدين، "والسعي لإصلاح أوضاع المجتمعات الإسلامية واجب شرعي وعيني، يجب أن يساهم فيه كل أفراد هذه المجتمعات رجالا ونساء، يقول تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٧١]، فمن شروط تمام الولاية العامة بين أعضاء المجتمع الإسلامي أن يشارك هؤلاء جميعا في الإصلاح والتصدِّي للفساد، والتصدي للمفاسد التي استشرت في مجتمعاتنا، وألا نترك لليأس والإحباط منفذا إلى نفوس المسلمين، وأن نُبين للجميع من خلال ضرب الأمثلة من تاريخ المسلمين أن الإصلاح ممكن، وأن الباطل مهما كبر واستشرى وانتفش فإن الحق سيزهقه ويقضي عليه ويحل محله، فكم من مراحل حرجة مرت بها أمتنا الإسلامية.. استشرت فيها المفاسد، وعظم فيها البلاء على المسلمين، حتى استيأس الناس، لكن بفضل عناية الله تعالى بهذه الأمة وحفظه لدينها، ثم بفضل جهود المصلحين والمصلحات، عادت الأمور إلى نصابها، وعاد الأمل إلى القلوب المؤمنة، ويمكننا ملاحظة ذلك في واقع بعض البلدان الإسلامية التي نجح فيها المصلحون والدعاة في الإصلاح والتغيير(٥٣).

---

(٥٠) تفسير ابن كثير، ج٣ ص١٣٤.

(٥١) تفسير الرازى، ج١٢ ص٣٩٨.

(٥٢) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج٧ص٣٩٠

(٥٣) المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى (٩/ ١١٣).

المطلب الثاني: النظر والاعتبار في عواقب المفسدين .

لقد حث المولى تبارك وتعالى على النظر والتأمل في قدرته في الكون على وجه العموم فجاءت أكثر من آية تحث المؤمنين على التأمل بقوله (انظروا، يتفكروا)، وغيرها من الأساليب الداعية للتأمل، إلا أن القرآن جاءنا بالدعوة إلى التأمل في عاقبة المفسدين على وجه الخصوص، حرصا منه على التنفير من الفساد والإفساد أي كانت صوره وأشكاله فنجده في أكثر من موضع يقول: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف ١٠٣ النمل١٤] أي "انظر يا رسولنا محمداً ﷺ كيف كان عاقبة المفسدين وهي إهلاكهم ودمارهم أجمعين"(٥٤)

والخطاب هنا وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فإن الأمة داخلة فيه من باب أولى، فهي دعوة؛ لأن يتأمل كل عاقل "مآل هؤلاء الذين أفسدوا في الأَرض بالشرك وقتل اَلأَنفس البريئة وتعذيب الضعفاء وسلب الأَموال، لا شك في أن مآلهم لا تحيط العقول بأَهواله وشدته" (٥٥).

فالله ﷻ "سن سننا ثابتة وقوانين خالدة في سير المجتمعات البشرية تشبه السنن والقوانين التي تدور بها الأفلاك، وتتحرك بها المادة، وتضبط بها قوانينها في كل جامد وسائل تلك هي القوانين التي تجعله مجتمعاً يزدهر، وآخر يضطرب"(٥٦).

"فليس هناك فوضى في الكون من ناحية البناء العلمي له، ومن ناحية الانطلاق الحضاري سنن قائمة بيقين وسنن ثابتة، وقد انطبقت هذه السنن على صاحب الرسالة نفسه نصراً، وهزيمةً؛ فعندما قصروا في اتخاذ الأسباب المطلوبة لاستكمال النجاح في "أحد" هزموا، وقيل لصاحب الرسالة ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٨].

وإذا استكملوا أسباب الانتصار انتصروا، وما يتصور أن أمة من الأمم تُحابي، أو تستثنى من هذه القوانين، وقد طبقت هذه القوانين نفسها على أمتنا خلال الأربعة عشر قرنا من تاريخها"(٥٧).

---

(٥٤) أيسر التفاسير للجزائري- ج٤ص١٠

(٥٥) التفسير الوسيط ج٣ص١٤٨٢.

(٥٦) كيف نتعامل مع القرآن - محمد الغزالي - (صـ٤٦).

وهذه السنن هي آياته سبحانه الدالة على صدق الرسالة، من حيث البرهان على إعجاز الله جل وعلا في الخلق، وعلى تفسير التحولات الاجتماعية، والتغييرات الكونية والحضارية قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة فصلت: ٥٣].

ولها سمات ثلاث:

أ. **الثبات**: أي لا تتبدل ولا تتغير قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الفتح: ٢٣]،

ب. **العموم**: أي أنها تشمل كل البشر والخلائق، دون تفريق، ودون استثناء، وبلا محاباة قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء: ١٢٣].

ج. **الاطِّراد**: أي التكرار أينما وجدت الظروف المناسبة مكاناً وزماناً وأشخاصاً وأفكاراً قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٧]، فهذه السنن الإلهية مطردة متلاحقة على نسق واحد لا تبديل لها ولا تغيير يعتريها، والقصص القرآني ما هو إلا برهان ثابت، وتطبيق عملي موثوق حول فاعلية تلك السنن.

والله تعالى أراد من عباده أن يفقهوا هذه السنن؛ فأرشدنا ﷻ إلى" أن له في خلقه سننا يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وقد بينها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه، والعلم بسنن الله – تعالى – من أهم

(٥٧) كيف نتعامل مع القرآن – محمد الغزالي – (صـ٥٠، ٤٩) – مرجع سابق.

العلوم وأنفعها، والقرآن سجل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض؛ لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها"(٥٨).

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة النساء: ٢٦] أي: "عليم حكيم في شرعه وقدره، وأفعاله وأقواله"(٥٩).

وأيضاً: من سنن الله التي تجري عليها الوقائع والحوادث هي المسماة في القرآن: (بأيام الله)، وهي تحتاج إلى من يستخرجها، ويعرِّف بها؛ فإن أيام الله تحتاج إلى من يلحظها، ويذكِّر الناس بها، وهي تجري على البر والفاجر، والمؤمن والكافر، قال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سورة إبراهيم: ٥].

ومعنى أيام الله في الآية: "وقائع الله في الأمم السالفة، والأيام التي انتقم فيها من الأمم الخالية"(٦٠).

فحين يذكرنا القرآن بأحوال الأمم السابقة وكيف جرت عليهم السنن الإلهية في الكون من ازدهار للحضارات أو انهيار لها، فإن ذلك كان على سبيل التعليم، والإفادة من الدرس والعبرة من التاريخ؛ ليكون تاريخ الإنسان نفسه مجالا رحبا لعمل العقل؛ ليتعرف منه على أساس ازدهار الحضارات وانهيارها، ليعي العبرة من قص القرآن لهذه السنن وعلاقتها بالأفراد والجماعات. فالكون كله مسرح للعقل وميدان لعمله، وتاريخ الإنسان كله مسرح لنظر العقل والعقل مهيأ للسيطرة الكلية على الكون واحتواء تاريخه، فكرا وتأملا، مقدمات ونتائج، علاقات بين الأشياء، أسبابا ومسببات، تسخيرا وتوظيفا، وتلك مهمة العقل ووظيفته في عالم

(٥٨) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) – محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) – (٤/ : ١١٦، ١١٥).

(٥٩) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) – (٣/ ٤٤٢).

(٦٠) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) – (٩/ ٣٤٢).

الشهادة وذلك واجبه الشرعي الذي ندبه القرآن له وحثه عليه وأمره به، وما تواتر العلم به عن الأمم الماضية من أخبار الأنبياء عنهم هو مما يلزم العلم به، وما يتنبأ به العلماء بناء على المشاهدات العلمية المتكررة هو من هذا القبيل بناء على اطراد السنن الإلهية في الكون سواء تعلقت هذه السنن بالظواهر الطبيعية، أو بالمجتمعات البشرية؛ لأن سنة الله في كونه لا تتخلف إذا وجد المقتضي وارتفع المانع، وهذا هو محل اعتبار الإنسان الذي ندبه القرآن إليه(٦١).

وقد بين الله ﷻ في القرآن الكريم عاقبة المفسدين فقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٨٦]، وقد أثار الشيخ الشنقيطي سؤالا وأجاب عنه، فقال: فإن قيل: الهلاك الذي أصاب قوم شعيب ذكر تعالى في الأعراف أنه رجفة، وذكر في هود أنه صيحة، وذكر في الشعراء أنه عذاب يوم الظلة.

فالجواب: ما قاله ابن كثير في تفسيره:" وقد اجتمع عليهم ذلك كله أصابهم عذاب يوم الظلة وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس، وخمدت الأجسام"(٦٢).

ولك أن تتأمل كيف جعل الله عاقبتهم مجهولة تحفيزا منه تعالى للنظر في عاقبتهم وكيف حكم الله عليهم بالفساد المطلق الذي يتضمن كل أنواع الشرور والآثام.

ومن أعظم عقوبات الله تعالى بالمفسدين، أنه يمدهم في طغيانهم، ولا يصلح عملهم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة يونس: ٨١].

فتفسد معيشتهم، ولا يهديهم إلى إصلاحها، كما حصل من أهل مأرب، وما كانوا عليه من عيشة رغيدة، وحياة سعيدة، وتقدم مدني، حتى استطاعوا – وقتئذ – أن يبنوا سداً عظيما، يحيي

(٦١) ينظر: الوحي والإنسان – قراءة معرفية – محمد السيد الجليند – (صـ٨١: ٧٣).
(٦٢) أضواء البيان للشنقيطي (٣٦/٢).

الله لهم به الأرض بعد موتها... فلما أعرضوا عن الدعوة الحق أفسدوا فضرب الله عليهم السد، وقطعهم في الأرض أمماً، بما كانوا يفسدون(٦٣).

المطلب الثالث: تنفيذ العقوبة المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية والقوانين النافذة.

فطلباً للإصلاح، ودفعاً للإفساد، قرر الإسلام عقوبة صارمة لمن يبغي الفساد في الأرض، قال سبحانه: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٣: ٣٤]

ذلك؛ لأن الفساد في الأرض، "يجلب الظلم والقهر، ويدفع إلى الاغتصاب، ويضيع الحقوق، ويشيع الفوضى، فُيفقدُ الأمنُ، وتضطربُ المعايشُ. ويهلك الحرث والنسل، فلا يستقر للناس قرار، ولا يهدأ لهم حال، لذلك جاءت هذه العقوبة الصارمة للمفسدين، لكي يرتدعوا.

والإعراض عن الدعوة، يجلب الفساد في الأرض كلها، وانتقام الله ﷻ، بشتى صور الانتقام، من تسلط الظلمة، وانتشار الأوبئة، وقلة الخيرات، ومحق البركات، وارتفاع الأسعار، ونكد العيش، وتتابع المصائب، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [سورة طه: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ٤١].

قال ابن كثير- رحمه الله-: "الفساد: يعني انقطاع المطر عن البر، ثم قال: أي: بان النقص في الزروع والثمار، بسبب المعاصي، وقال أبو العالية: من عصى الله في الأرض، فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة"(٦٤).

---

(٦٣) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر (ص: ٧٩).

(٦٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٤، ٤٤٥).

وتارة يكون انتقامُ الله مباشراً، بإنزال العذاب بالمفسدين في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [سورة الفجر: ١٠ – ١٤]، أي: إن الله لبالمرصاد لغيرهم من أمثالهم، قال القرطبي: " أي يرصد عمل كل إنسان، حتى يجازيه به، قاله الحسن وعكرمة"(٦٥).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [سورة الفيل: ١ – ٥].

وتارة يكون بالجوع والخوف، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النحل: ١١٢]، وتارة يكون انتقام الله من فوق الناس بتسليط الظلمة عليهم، أو بالتفريق والفتن بينهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٥]، قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: "أما العذاب الذي من فوقكم فأئمة سوء"(٦٦)، ولقد كان كل عذاب ينزل على الأرض بأي صورة من الصور، إنما هو بأفعال الناس الفاسدة، وهكذا الأمر يكون إلى يوم القيامة.

فالقرآن الكريم يعلنها حربا شديدة لا هوادة فيها على كل من سعى في الأرض فسادا مرتبا على ذلك العقوبة الدنيوية المتمثلة في القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، بالإضافة إلى العقوبة الأخروية المتمثلة في العذاب العظيم الذي لم يفصح المولى عز وجل عن كنهه لبيان شدته وعظمة أمره.

---

(٦٥) تفسير القرطبي (٢٠/ ٥٠).

(٦٦) أخرجه ابن جرير (١١/ ٤١٧) من طريقين عن ابن عباس رضي الله عنهما.

" ومن رحمة الله بعباده أن يظهر أمر المفسدين، ويكشف خفايا نفوسهم، فيخزهم في الدنيا، ويبطل كيدهم، ويدمر بنيانهم، ليكون ذلك رادعاً وزاجراً للناس، لئلا يتلبسوا بالفساد ويفتتن الخلق بهم، ولعل هذه الشدة على المفسدين تردع من كان في قلبه ذرة خير، ليعود إلى رشده ويتوب إلى ربه "(٦٧)

ثم بين آثار هذه العقوبة في الدنيا والآخرة فقال: ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٣] أي "ذلك الذي ذكر من عقابهم- ذل لهم وفضيحة في الدنيا ليكونوا عبرة وعظة لغيرهم من المسلمين، ولهم في الآخرة عذاب عظيم بقدر تأثير إفسادهم في تدنيس نفوسهم وتدسيتها وظلمة أرواحهم بما اجترحت من الذنوب والآثام "(٦٨).

المطلب الرابع: إبراز المقارنات بين أحوال المؤمنين:

تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨] أم في الآية للإضراب الانتقالي والمعنى: "أنجعل من آمنوا بربهم واعتقدوا أنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له في ملكه، وأصلحوا أعمالهم فأدّوا ما يجب للخلق والخالق وائتمروا بما أمر به ربهم على لسان أنبيائه وانتهوا عما نهوا عنه، فلم يدسّوا أنفسهم بفعل شيء من كبائر الآثام خوفا من يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، ولا تقبل الشفاعة ولا الفداء من أحد﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [سورة الإسراء: ١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [سورة عبس: ٣٤ – ٣٧] كمن كفروا به وعاثوا في الأرض فسادا، وهاموا فيها على وجوههم، لا دين يمنعهم، ولا زاجر يردعهم، إذ هم ينكرون الجزاء والحساب والإعادة بعد الموتة الأولى ويقولون: "ما هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر، فأنى لمثل هؤلاء أن يرعووا عن غيّ، أو يكفّوا عن معصية؟ بل هم جهد استطاعتهم يحصلون على اللذات،

(٦٧) الفساد والمفسدون، ص٢٣٩

(٦٨) تفسير المراغي، ج٦ ص١٠٧

ويجترحون السيئات، بما وسوس إليهم به الشيطان، أن لا حلال ولا حرام، ولا جنة ولا نار، فما هذه إلا أساطير الأولين، وخزعبلات الموسوسين المتزّمّتين وإذا كان هذا حقا واقتضته الحكمة وأوجبته العدالة، فلا بد من دار أخرى يجازى فيها المطيع، ويثاب على ما عمل، ويعاقب فيها العاصي على ما دنّس به نفسه من شرك بربه، واجتراح للإثم والعصيان ومخالفة أمر الواحد الديان.

والعقول السليمة، والفطر الصحيحة ترشد إلى هذا وتؤيده، وتدل عليه وتثبته، فإنا نرى الظالم الباغي قد يزداد في دنياه مالا وولدا، ويتمتع بصنوف اللذات، من الدور والقصور، والفراش الوثير، والسكن في الجنات، ويركب فاره الخيول المطهّمة والمراكب الفاخرة، ويشار إليه بالبنان، بينا نرى المطيع لربه، المظلوم من بنى جنسه قد يعيش عيش الكفاف، ولا يجد ما يقيم به أوده، ويسدّ به مخمصته، أفيكون من حكمة الحكيم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة أن يترك الناس سدى يفعلون ما شاءوا بلا حساب ولا عقاب، أو ينتصف للمظلوم من الظالم ويرجع الحق إلى صاحبه؟ وربما لا يحصل هذا في الدنيا، فلا بد من دار أخرى يكون فيها العدل والإنصاف، والكيل بالقسط والميزان، وتلك هي الدار التي وعد بها الرّحمن، على ألسنة رسله الكرام، صدق ربنا، وإن وعده الحق، وإن هذا اليوم آت لا شك فيه، لتجزى كل نفس بما كسبت، لا ظلم اليوم"(٦٩)

فهنا دلت الآية الكريمة أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يتساوى حال المؤمن والفاسد في الدنيا والآخرة، وإن حصل للمفسد من اللذات في الدنيا ما لم يحصل للمؤمن إلا أن الآخرة هي دار الجزاء والحساب، وفيها سيوفى كل عامل جزاء عمله فالعبرة بالخواتيم.

المطلب الخامس: النهي عن اتباع سبل وطرق المفسدين .

قال تعالى محذرا من اتباع طرق وسبل المفسدين ﴿وَلَا تَتَّبِعَ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة الاعراف١٤٢] وفي هذه الآية " تَحْذيرٌ منَ الفَسَادِ بأبلَغِ صِيغةٍ؛ لأنَّه جَامِعَةٌ بَينَ نَهْيٍ- والنَّهْيُ عنْ فِعلٍ تنصرفُ صِيغَتهُ أوَّلَ وهْلةٍ إِلَى فَسادِ المنْهِيِّ عنْهُ- وَبَينَ تعْلِيقِ النَّهي بِاتبَاعِ سبيلِ المفسِدِينَ، وَالْإِتْبَاعُ أَصْلُهُ الْمَشْيُ عَلَى حِلْفِ مَاشٍ، وَهُوَ هُنَا مستعَارٌ لِلمشَارَكةِ فِي عملِ الْمُفْسِدِ، فَإِنَّ الطَّرِيقَ

(٦٩) تفسير المراغى، ج٢٣ ص١١٦.

مُسْتَعَارٌ لِلْعَمَلِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْفَسَادِ وَالْمُفْسِدُ مَنْ كانَ الْفَسَادُ صِفَتَهُ، فَلَمَّا تَعَلَّقَ النَّهْيُ بِسُلُوكِ طَرِيقِ الْمُفْسِدِينَ كَانَ تَحْذِيرًا مِنْ كُلِّ مَا يُسْتَرْوَحُ مِنْهُ مَآلٌ إِلَى فَسَادٍ، لِأَنَّ الْمُفْسِدِينَ قَدْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا لا فَسادَ فِيهِ، فَنُهِيَ عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِي عَمَلِ مَنْ عُرِفَ بِالْفَسادِ؛ لِأَنَّ صُدُورَهُ عَنِ الْمَعْرُوفِ بِالْفَسَادِ، كَافٍ فِي تَوَقُّعِ إِفْضَائِهِ إِلَى فَسَادٍ. فَفِي هَذَا النَّهْيِ سَدُّ ذرائع الْفَسَادِ، وَسَدُّ ذَرَائِعِ الْفَسَادِ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ عُنِيَ بِهَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَكَرَرَهَا فِي كِتَابِهِ وَاشْتُهِرَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ فِي أُصُولِ مذْهبِهِ، فَل جرَمَ أَنْ كانَ قوْلُهُ تَعَالَى: وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ جَامِعًا لِلنَّهْيِ عَنْ ثَلَاثِ مَرَاتِبَ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِفْضَاءِ إِلَى الْفَسَادِ وَهُوَ الْعَمَلُ الْمَعْرُوفُ بِالِانْتِسَابِ إِلَى المفسد، وعمَلُ المفسِدِ وإِنْ لَمْ يَكُنْ مما اعْتادَه، وَتَجَنُّبُ الِاقْتِرابِ من المفسِدِ ومخَالَطَتِهِ"(٧٠).

وعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة" لَا تسلُكْ طريقَ الَّذِينَ يفسِدونَ فِي الْأَرْضِ بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ، وَمَعُونَتِهِمْ أَهْلَ الْمَعَاصِي عَلَى عِصْيَانِهِمْ رَبَّهُمْ، وَلَكِنِ اسلك سَبِيلَ المطِيعِينَ ربهُمْ"(٧١) .

المطلب السادس: التوعية بما أعده الله من عقوبات أخروية للمفسدين .

إن الناظر في القصص القرآني: يجد حديث القرآن الكريم عن المفسدين من الأمم السابقة ذكرها القرآن الكريم للتوعية بما أعده الله من عقوبات أخروية لهؤلاء المفسدين، "إن معرفة أحداث التاريخ وتحليل الوقائع والأسباب؛ له فائدة كبري في علاج أمراض الشعوب والأمم، فالعقلاء: هم الذين يتأملون بما حدث، ويفكّرون بما وقع ويدرسون الأسباب والنتائج دراسة متأنية قائمة على البحث والتمحيص؛ للحذر مما وقع، ولرسم سياسة المستقبل، في ضوء مجريات الأمور، وهذا ما جعل القرآن الكريم يعنى بقصص الأقدمين؛ ليعرف من يأتي بعدهم سبب الداء والدواء وطريق الحذر واليقظة"(٧٢).

---

(٧٠) التحرير والتنوير، ج٩ص٨٨

(٧١) تفسير الطبرى، ج١٠ص٤١٦

(٧٢) التفسير الوسيط – د وهبة بن مصطفى الزحيلي –(٢/ ١٦٥٢) –دار الفكر – دمشق –الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

وهذا الأسلوب سلكه موسى عليه السلام في دعوة قومه كما أخبر بذلك القرآن الكريم قال تعالى حكاية عنه: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [سورة إبراهيم: ٩] "يقول الحق جل جلاله، حاكيا عن نبيه موسى عليه السلام في تذكير قومه، أو من كلامه تذكيرا لهذه الأمة: ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم: ما جرى عليهم حين عصوا أنبياءهم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كقوم شعيب، وأمم كثيرة لا يعلمهم إلا الله لكثرة عددهم، واندراس آثارهم. ولذلك قال ابن مسعود: كذب النسابون. جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الواضحات، فردوا أيديهم في أفواههم ليعضوا عليها غيظا مما جاءت به الرسل، كقوله: عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، أو: وضعوها عليها تعجبا منهم، أو: استهزاء بهم، كمن غلب عليه الضحك، أو إسكاتا للأنبياء، وأمرا لهم بإطباق الأفواه، أو: ردوها في أفواه الأنبياء، يمنعونهم من التكلم، أو: ردوا أياديهم، أي: نعم الأنبياء عليهم، وهي: مواعظهم والشرائع التي أتوهم بها من عند الله، ردوها في أفواه الأنبياء حيث كذبوها، ولم يعملوا بها، كما تقول لمن لم يمتثل أمرك: ترك كلامي في فمي وذهب"(٧٣).

وسلك هذا الأسلوب أيضاً: مؤمن آل فرعون لما قال كما أخبر الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ [سورة غافر: ٣٠]. وتذكير مؤمن آل فرعون لقومة بمثل هذه السير والحال انه لم يذكر في الآيات ما يدل علي وحي أو الهام له وأن الداعية حين يعرض هذه السير علي المخاطب بهذا النحو فإنه يذكر ما يمكن للمخاطب أن يتذكره فيدل ذلك على

(٧٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- (٣/ ٤٦) .

- أن فرعون وقومه علي جانب من المعرفة بمثل هذه السير

- وأن مؤمن آل فرعون استغل معرفتهم هذه فاختارها للعظة والاعتبار

ويخطو مؤمن آل فرعون من جديد الي مرحلة الوعيد بما يلقونه في الآخرة بعد أن عرفوا أمرين الأول: أن بأس الله سبحانه وتعالي إذا جاء فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، والثاني: إن سير السابقين، وما حدث للمفكرين علي الدعوات دليل علي ذلك قال الله تعالي: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة غافر: ٣٢-٣٣](٧٤).

ولذلك كانت العبرة بهلاك السابقين المفسدين من أقوام الأنبياء- عليهم السلام -؛ لأنهم لم يستجيبوا لهم وحاولوا قتلهم وإخراجهم، واضطهادهم، وانزال الإيذاء البدني والنفسي بهم، فجعلهم الله آية للمعتبرين، قال تعالى في شأن المنافقين الذين كانوا يضمرون الكيد والإيذاء للنبي ﷺ ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[سورة التوبة: ٧٠]، فأنزل الله بهم "أشد العقوبات، وأفظع المثلات، فمنهم من أغرقه، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهلك بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيرا منهم"(٧٥).

---

(٧٤) في موكب النبيين - (٢/ ١٣٤) .

(٧٥) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن - (صـ: ٥٤١) .

الخـاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأفضل صلاة وأزكى تسليم على حبيبنا وقـرة أعيننـا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آلـه وصـحبه ومـن سـار عـلى نهجهـم إلى يـوم الدين.

وبعد أن عشت في رحاب آيات من القرآن الكريم تناولـت موضـوع الفسـاد، آن الأوان أن أحط الرحال معلنة عن مجموعة من أهم النتائج وأبرز التوصيات.

أولاً: أهم النتائج:

١. ورد لفظ الفساد في القرآن بأكثر من صيغة، بصيغة الماضي والمضارع واسم الفاعل والمصـدر ، ولم ترد بصيغة الأمر ولا المبالغة ولا المدح.

٢. كثرت الإشارة في القرآن الكـريم إلى نـماذج فاسـدة تحـذيرا مـن اتبـاع مـنهجهم أو سـلوك طريقهم.

٣. للفساد أسباب عدة تؤدي إلى ظهوره في المجتمـع ولـيس سـببا واحـدا وإن كانـت كلهـا في الأصل تعود إلى ضعف الإيمان وقلة الصلة بالله تعالى.

٤. يظهر الفساد في المجتمع في مظاهر مختلفة من الانحراف الجنسي والسحر والسرقة فمتـى مـا وجدت هذه المظاهر في مجتمع ما كان الحكم عليه بالفساد.

٥. اتخذ القرآن الكريم منهجا فريدا في النهي عن الفساد وفي علاجه إذ الوقاية من وقوعه بدايـة خير من العلاج.

٦. فإن انتشار الفساد في المجتمع نذير خطر ورسول قحط وعقوبة ربانية عامة.

ثانيا: التوصيات:

١. ضرورة الاعتصام بالله ﷻ؛ لأنه أساس النصر والتمكين، فما اعتصـم أحـد بـالله إلا ونصـره اللهﷻ.

٢. يجب على الأمة الأخـذ بأسـباب العلـم والقـوة؛ ليتحقـق النصـر، والاسـتقرار والأمـن في الأوطان، فيتوفر الطمأنينة، ويعم الرخاء .

٣. ضرورة العمل على محاربة الفساد بشتى الوسائل والسبل وعلاجه في ضوء القرآن الكريم .

٤. توجيه نظر الباحثين إلى قراءة القصص القرآني – قراءة عصرية واستخراج ما فيها من درر تفيد الإسلام والمسلمين، واستلهام الدروس والعبر؛ للاستفادة منا وإسقاطها على الواقع، وفي ذلك إضافة للمكتبة الإسلامية .

٥. قيام المؤسسات بوضع خطط للتعامل مع الفساد الإداري مستمدة ومستفادة من منهج الأنبياء والرسل – عليهم السلام – في مواجهة الفساد .

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانيا: أهم المصادر والمراجع.

١. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

٢. ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ بيروت، لبنان الطبعة الأولى.

٣. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٤. أبو بكر الجزائري: جابر بن موسى، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣.

٥. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود- المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد

٦. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، دار النشر: دار الفكر العربي.

٧. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل- المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٨. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية – القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٩. أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)- تفسير التستري- تحقيق: محمد باسل عيون السود - منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.

١٠. أحمد مصطفي المراغي تفسير المراغي- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

١١. الأزهري: محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون.

١٢. بديع الزمان سعيد النورسي (المتوفى: ١٣٧٩هـ)- حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي

١٣. البيضاوي: عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨ه

١٤. خالد بن جمعة بن عثمان الخراز- مَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ - مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت - الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
١٥. دار سوزلر للطباعة والنشر- الطبعة: الثانية، ١٩٨٨م.
١٦. الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى.
١٧. الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٨. الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن تحقيق عدنان الداودي، دار القلم الدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى.
١٩. الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٧م.
٢٠. الزحيلي: وهبة الزحيلي، التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية، بحث مقدم إلى المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد في أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية١٤١٤هـ.
٢١. سعيد أيوب، الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن الكريم- دار الهادي بيروت الطبعة الأولى: ١٩٩٢م، ١٤١٢ هـ.
٢٢. شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف ـ تحقيق: د. مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة الثانية: ١٩٨٦.
٢٣. الشوكاني: محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير بيروت، الطبعة الأولى١٤١٤هـ.
٢٤. ضيائي نعمان، الفساد والمفسدون، رسالة ماجستير
٢٥. الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٢٦. عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي (المتوفى: ١٢٩٨ هـ) شرح العقيدة الطحاوية للميداني- المحقق: محمد مطيع الحافظ $محمد رياض المالح الناشر: دار الفكر - دمشق، دار الفكر المعاصر - بيروت-١٩٩٥ م.
٢٧. عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)- التفسير القرآني للقرآن؛ دار الفكر العربي – القاهرة- بتصرف يسير.
٢٨. القاسمي: محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ه.

٢٩. القزويني: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٠. المسئولية في الإسلام المؤلف: الدكتور عبد الله قادري الأهدل- الطبعة: الثالثة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
٣١. مجلة البيان (٢٣٨ عددا) - تصدر عن المنتدى الإسلامي باختصار.
٣٢. مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٣٣. محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان.
٣٤. محمد السيد الجليند الوحي والإنسان - قراءة معرفية - دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) بدون.
٣٥. محمد الغزالي السقا الإسلام والاستبداد السياسي- الطبعة: الأولى- دار نهضة مصر.
٣٦. محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩ هـ)- الجامع الكبير (سنن الترمذي)- المحقق: شعيب الأرنؤوط - عبد اللطيف حرز الله- الناشر: الرسالة العالمية - بيروت سنة النشر: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ هـ.
٣٧. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة النشر: ١٩٩٠ م.
٣٨. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة النشر: ١٩٩٠ م.
٣٩. محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الأولى.
٤٠. المراغي: أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٤١. المرسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى١٤٢١هـ.

Romanization of references

1. Ibn Taymiyyah, Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim, Investigator: Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Qasim, Publisher: King Fahd Complex for the Printing of the Holy Quran, Medina, Kingdom of Saudi Arabia, Year of Publication: 1416 AH - 1995 AD.
2. Ibn Ashur: Muhammad al-Tahir, Al-Tahrir wa al-Tanwir, History Foundation, Beirut, Lebanon, First Edition.
3. Ibn Kathir: Ismail ibn Umar, Tafseer al-quran al-adheem, Investigation by Muhammad Hussein Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, First Edition 1419 AH.
4. Abu Bakr al-Jaza'iri: Jabir ibn Musa, Aisr altfaser leklam alaly alkbeer, Library of Science and Wisdom, Fifth Edition 1424 AH - 2003.
5. Abu Dawood Sulayman ibn al-Ash'ath ibn Ishaq ibn Bashir ibn Shaddad ibn Amr al-Azdi al-Sijistani (died: 275 AH) Sunan Abi Dawood - Investigator: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid
6. Abu Zahra, Muhammad ibn Ahmad ibn Mustafa, Publishing House: Dar al-Fikr al-Arabi.
7. Abu Abdullah Ahmad ibn Muhammad ibn Hanbal ibn Hilal ibn Asad al-Shaibani (died: 241 AH) Musnad Al-Imam Ahmad ibn Hanbal - Investigator: Shu'ayb al-Arna'ut - Adel Murshid, and others - Supervision: Dr. Abdullah ibn Abd al-Muhsin al-Turki - Publisher: Al-Risala Foundation - Edition: First, 1421 AH - 2001 AD.
8. Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr bin Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din Al-Qurtubi (died: 671 AH) Al-Jami' li Ahkam Al-quran Tafser Al-Qurtubi- Edited by: Ahmad Al-Bardouni and Ibrahim Atfeesh - Dar Al-Kutub Al-Masryia - Cairo - Edition: Second, 1384 AH - 1964 AD.
9. Abu Muhammad Sahl bin Abdullah bin Yunus bin Rafi' Al-Tustari (died: 283 AH) - Tafsir Al-Tustari - Edited by: Muhammad Basil Ayoun Al-Sud - Publications of Muhammad Ali Baydoun - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut - Edition: First - 1423 AH.
10. Ahmad Mustafa Al-Maraghi Tafser Al-Maraghi Interpretation - Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Press in Egypt - Edition: First, 1365 AH - 1946 AD.
11. Al-Azhari: Muhammad bin Ahmad, Tahdhib Al-Lugha, Edited by: Abdul Salam Haroun.
12. Badī' al-Zaman Sa'id Nursi (died: 1379 AH) – Hqiqat altwheed aw altwheed Al-hqeqi.
13. Al-Baydāwī: Abdullah bin Umar, Anwār al-Tanzīl wa Asrār al-Ta'wīl, edited by Muhammad Abd al-Rahman al-Mar'ashli, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, first edition 1418 AH
14. Khalid bin Jum'ah bin Uthman al-Kharrāz – Mawsouat al-akhlaq - Ahl al-Athār Library for Publishing and Distribution, Kuwait - Edition: First, 1430 AH - 2009 AD
15. Dar Suzler for Printing and Publishing - Edition: Second, 1988 AD.

16. Al-Rāzī: Abu Abdullah Muhammad bin Umar, Mafatih al-Ghayb, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, first edition.
17. Al-Razi: Zain Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr, Mukhtar Al-Suhah, Investigator: Youssef Al-Sheikh Muhammad, Publisher: Al-Maktaba Al-Asriya - Dar Al-Namuthajiyah, Beirut - Sidon, Edition: Fifth, 1420 AH - 1999 AD.
18. Al-Raghib Al-Isfahani: Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad, Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran, Investigation by Adnan Al-Dawudi, Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya, Beirut, First Edition.
19. Al-Zubaidi: Muhammad Murtada Al-Husseini, Taj Al-Arous min Jawahir Al-Qamus, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, First Edition 1424 AH - 2007 AD.
20. Al-Zuhayli: Wahba Al-Zuhayli, Al-taref belfsad wa soureh men al-wghah al-shar'iah, Research Submitted to the Arab International Conference on Combating Corruption at the Naif Arab Academy for Security Sciences 1414 AH.
21. Saeed Ayoub, Al-inherafat al-kubra al-qura al-dhalemh fe al-quran al-kreem- Dar Al-Hadi Beirut, First Edition: 1992 AD, 1412 AH.
22. Shihab Al-Din Muhammad bin Ahmad Abi Al-Fath Al-Abshihi - Al-Mustatraf fi Kul Fann Mustadhraf - Investigation: Dr. Mufid Muhammad Qamiha - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut - Second Edition: 1986.
23. Al-Shawkani: Muhammad bin Ali, Fath Al-Qadeer, Dar Ibn Kathir Beirut, First Edition 1414 AH.
24. Dia'i Nu'man, Al-fsad wa al-mufsedon, Master's Thesis
25. Al-Tabari: Muhammad bin Jarir, Jami' Al-Bayan 'an Ta'wil Ay Al-Qur'an, Investigation by Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, Dar Hijr for Printing and Publishing, First Edition 1422 AH - 2001 AD.
26. Abdul Ghani bin Talib bin Hamada bin Ibrahim Al-Ghanimi Al-Dimashqi Al-Maydani Al-Hanafi (died: 1298 AH) Sharh Al-aqidah Al-Tahawiyyah le Al-Maydani - Investigator: Muhammad Mut'i Al-Hafiz $ Muhammad Riyad Al-Maleh Publisher: Dar Al-Fikr - Damascus, Dar Al-Fikr Al-Mu'aser - Beirut - 1995 AD.
27. Abdul Karim Younis Al-Khatib (died: after 1390 AH) – Al-tfser al-qurani le Al-Quran; Dar Al-Fikr Al-Arabi - Cairo - with slight modification.
28. Al-Qasimi: Muhammad Jamal Al-Din, Mhasen al-tawel, edited by Muhammad Basil, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, first edition 1418 AH.
29. Al-Qazwini: Ahmad bin Faris, Muagam mqai'ies allugah, edited by Abdul Salam Harun, Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.
30. Al-ms'oliiah fe Al-Islam, Author: Dr. Abdullah Qadri Al-Ahdal - Edition: Third 1412 AH 1992 AD.
31. Mgalat Al-Bayan (238 issues) - Issued by the Islamic Forum in Brief.

32. Magmo'uah men al-ulma'a be Ishraf mugama' al-bhouth al-islamiiah belazhar, Al-tfser al-wseet Publisher: General Authority for Amiri Printing Affairs Edition: First, 1393 AH - 1973 AD.
33. Muhammad Al-Amin bin Abdullah Al-Armi Al-Alawi Al-Harari Al-Shafi'i, Had'iq al-rouh walrihan fe rwabe ulom al-quran, Supervision and Review: Dr. Hashim Muhammad Ali bin Hussein Mahdi Publisher: Dar Tawq Al-Najat, Beirut - Lebanon.
34. Muhammad Al-Sayyid Al-Jalind Al-wahy walinsan - A Cognitive Reading - Dar Quba for Printing, Publishing and Distribution (Cairo) without.
35. Muhammad Al-Ghazali Al-Saqqa Al-Islam walistebdad al-siasi - Edition: First - Dar Nahdet Misr.
36. Muhammad bin Isa bin Sawra bin Musa bin Al-Dahhak, Al-Tirmidhi, Abu Isa (died: 279 AH) – Al-gami' al-kbeer (Sunan Al-Tirmidhi) - Investigator: Shuaib Al-Arnaout - Abdul Latif Harz Allah - Publisher: Al-Risalah Al-Alamiyah - Beirut Year of publication: 1430 AH - 2009 AH.
37. Muhammad Rashid bin Ali Reda bin Muhammad Shams al-Din bin Muhammad Baha al-Din bin Munla Ali Khalifa al-Qalamuni al-Husayni (died: 1354 AH) – Tafser al-quran al-hakeem (Tafser al-Manar) - Egyptian General Book Authority - Year of publication: 1990 AD.
38. Muhammad Rashid bin Ali Reda bin Muhammad Shams al-Din bin Muhammad Baha al-Din bin Munla Ali Khalifa al-Qalamuni al-Husayni (died: 1354 AH) - Tafser al-quran al-hakeem (Tafser al-Manar) - Publisher: Egyptian General Book Authority - Year of publication: 1990 AD.
39. Muhammad Sayyid Tantawi: Al-tfser al-wset le Al-Quran, Dar Nahdet Misr for Printing and Publishing, Cairo, First Edition.
40. Al-Maraghi: Ahmad Mustafa, Tafser Al-Maraghi, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut.
41. Al-Mursi: Abu al-Hasan Ali bin Ismail, Al-Muhkam wal-Muhit al-A'dham, edited by Abdul Hamid al-Hindawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, First Edition 1421 AH.